

## أمير هليل

### 1967 – والبلد لم يتعلم شيئاً\*

#### [عرض كتاب جديد

#### لتوم سيغف عن حرب 1967]

إن الجزء الكئيب في كتاب توم سيغف الجديد "1967"، بشأن حرب الأيام الستة، لا يوجد بالضبط في الكتاب نفسه بصفحاته الـ 623 ("1967 والبلد غير وجهه"، منشورات كيترا)، بل إنه يختبئ في قائمة المصادر والحواشي. وأنا أوصي كل من يقرأ كتاباً في التاريخ بأن يظهر قليلاً من الشك ويبدأ بقراءة الكتاب من آخره. لقد أصبت بخيبة أمل كبيرة عندما اكتشفت أن توم سيغف كرّس فعلاً خمسة أعوام من البحث لتأليف الكتاب، واستعان بفريق من مساعدي الباحثين، ونقب في 25 أرشيفاً في إسرائيل وبريطانيا والولايات المتحدة، واقتبس من مئات الكتب والأبحاث، لكنه تجاهل بصورة شبه كاملة أمراً صغيراً واحداً: العرب. إنني أستعمل عن عمد مصطلحاً ينطوي على التعميم، لكن توم سيغف لم يحاول أن يزور أرشيفاً عربياً واحداً، لا في مصر ولا في الأردن (الذين لكليهما علاقات دبلوماسية مع إسرائيل) ولا في أرشيف سوري (بواسطة عربي إسرائيلي، أو درزي مثلاً). كما أن تجاهله لمصادر الفلسطينيين صارخ جداً، كأنهم لم يوجدوا وغير موجودين الآن.

لدى إجراء التمحيص الكمي الذي يمكن أن يعطي مؤشراً كيفياً، وجدت بصعوبة 6 مصادر بأقلام عرب، بين ما يزيد على 260 مصدرًا بالعبرية والإنكليزية. وعندما استعرضت الـ 1300 هامش كلها، وجدت أقل من 10 هامش تعتمد على مصادر عربية. لا أريد أن أقول إن الكتاب غير متوازن، بحسب المصطلح الشائع في نقد كل ما يتحدى الرواية الصهيونية، لكن الكتاب وحكاية حرب 1967، التي يقدمها توم سيغف، ليسا كاملين. ولو أنه استعان بمصادر ليست إسرائيلية، أو مشتبه في أنها مؤيدة لإسرائيل، لكن على ثقة بأن ذلك كان سيعطي الكتاب نطاقاً وعمقاً بعث في اكتشاف غيابهما ذلك القدر من خيبة الأمل.

إنصافاً لسيغف، يجب القول إن الكتاب مكتوب بصورة متدفقة. إن الرأي الشائع لدى الجمهور حتى اليوم هو أن الحرب اندلعت لأن عبد الناصر أغلق مضائق تيران وأدخل قوات عسكرية إلى سيناء. هل حقاً؟ لست مؤرخاً، وإنما أستند إلى كتاب توم سيغف. لم يكن إغلاق مضائق تيران مفاجأة للجميع، وجاء على خلفية عدوانية إسرائيلية – إعلامياً وفعلياً – إزاء سورية. لا أود الدخول في نقاش "من الذي بدأ؟"، أو من الذي كان أكثر عدوانية؟ فحتى لو لم تتصرف إسرائيل بتاتاً بصورة عدوانية، فإن إغلاق المضائق لم يأت مفاجئاً تماماً. فموشيه دايان مثلاً توقع ذلك، بل إنه قال لرابين إن المصريين سيغلقون المضائق قبل يوم من قيام عبد الناصر بذلك (ص 258). وأنا أفترض أنه إذا عرف دايان بذلك، فإن آخرين كانوا بالتأكيد يقدرّون ذلك.

يبدأ توم سيغف وصفه لحرب 1967 بالسنة السابقة لها، 1966، ويستمر إلى ما بعد أشهر من الحرب. في الأسابيع السابقة للحرب، ولا سيما في الأسبوعين ما بين إغلاق المضائق وبدء الحرب في 5 حزيران/يونيو وتدمير سلاح الجو المصري، كان الشعور السائد لدى الجمهور (بحسب الكتاب) هو شعور عشية الإبادة، المحرقة الثانية – بل إن عبد الناصر قورن بهتلر. وقد عبّر عن هذا الشعور رجل الشارع، ومثله وزراء وقادة الأركان العامة وصحافيون كثر. لنفترض أن هذا الذعر، خيالياً كان أو واقعياً، دفع إسرائيل إلى الحرب. لكن كيف يتمشى ذلك مع الاقتباسات التالية التي قيلت بين 23 أيار/مايو و5 حزيران/يونيو 1967 (كلها مأخوذة من كتاب سيغف):

• "يغال ألون، وزير العمل، الذي عاد من الاتحاد السوفياتي وسافر مع إشكول، اقترح (إيجاد غطاء) يمكن من الادعاء أن المصريين بدأوا الحرب" (ص 275).

• "اقترح رئيس الموساد [منير] عميت إرسال سفينة إلى الخليج [خليج العقبة] كي يقوم المصريون بقصفها" (ص 275).

• "السيد [من وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية] قال إن على إسرائيل أن تساعد الولايات المتحدة على مساعدتها، من خلال إرسال سفينة إلى المضائق، على سبيل المثال. فإذا أطلق المصريون النار عليها، يصبح لدى إسرائيل ذريعة للهجوم" (ص 279).

- "اعتقد رابين أن الحرب ستبدأ في اليوم نفسه، واقترح من باب التضليل إعلان أن الحكومة لن تستمع إلى تقرير [أبا] إيبين قبل ظهر الغد" (ص 288).
- "كي يبدو الأمر سعيًا لفتح المضائق، يجب التظاهر بالهجوم على شرم الشيخ، لكن الهدف الأساسي سيكون تدمير الجيش المصري" (موشيه دايان، ص 290).
- "... لم يكن لديه أوامام بشأن أن الانتظار سيحول دون الحرب، لكنه فكر في أنه يجب عدم التنازل عن إمكان ذلك: (الحرب لن تذهب)، قال "زلمان أران، ص 310).
- "أعرب رابين عن أمله بأن عبد الناصر ربما يرتكب، (من فرط النشوة)، خطأ ما يؤدي مع ذلك إلى حرب، قبل مرور أسبوعين" (ص 316).
- "لذلك كان يجب الانتظار؛ فحتى السعي لإقناع العالم بأن عبد الناصر يسلك سلوك هتلر يتطلب وقتاً" (من حديث لرئيس الحكومة، ليفي إشكول، مع قادة الأركان العامة، ص 346).
- "اقترح إعطاء الأميركيين أسبوعاً آخر، وإرسال سفينة إلى الخليج في هذه الأثناء، على توقع، ولعله على أمل، أن يطلق المصريون النار عليها، كي تقدر إسرائيل أخيراً على التحرك من دون اتهامها بإطلاق الرشقة الأولى" (رئيس الموساد، مثير عميت، ص 353).
- "قال إيبين أنهم إذا أرسلوا سفينة طعم سيدرك المصريون أن الحرب وشيكة، وسيخسر الجيش الإسرائيلي ميزة المباغثة" (ص 354).
- "للحظة حاول إشكول مجدداً أن يتحدث كما يشتهي دايان: (نرسل سفينة. هم يطلقون النار أولاً. وعندها سيكون هذا هو الأمر)؛ أي ذريعة التحرك" (ص 354).
- "ساهم يادين في النقاش بملاطفة مطمئنة منه: (لن يكون في قدرة أحد أن يثبت أن طائراتنا دخلت أولاً)، وأضاف بعد ذلك: (بعد أن نبدأ سنثبت أنباء بأننا محاصرون بالأعداء من كل الجوانب" (ص 354).
- "فيرهافتيغ سأل دايان كيف يمكن تقديم الهجوم الإسرائيلي على أنه ردٌّ بالمثل: ربما يمكن التظاهر بشيء؛ وقال الوزير بنطوف أيضاً: (من الضروري وجود ذريعة)" (ص 357).
- "كان لدى ألون فكرة: يبلغ رئيس الحكومة رؤساء الدول أن المصريين بدأوا بالهجوم، وتحرك إسرائيل بعد ذلك بدقائق. حقاً إن رئيس الحكومة سيخاطر بالكذب، لكن المؤرخين وحدهم سيعرفون الحقيقة" (ص 357).
- مجموعة الكاذبين هذه أرهقت دماغها ليالي وأياماً في كيفية إيجاد استفزاز يموه السبب الحقيقي للحرب: الرغبة في ضرب مصر (ودول عربية أخرى)، واحتلال مزيد من الأراضي. وهكذا لا يدور الحديث بأي شكل عن من هم "الذين دفعوا" إلى الحرب بسبب عدوانية العدو، ولا عن من هم الذين يشعرون بأنهم على وشك الإبادة.
- إن إغلاق المضائق يقدّم حتى اليوم على أنه عمل عدواني وإضرار جوهري بحرية الملاحة الإسرائيلية - وهي ذريعة كافية لشن الحرب. وعبد الناصر لم يغلق المضائق، وإنما أعلن أنه سيمنع بالقوة مرور السفن التي ترفع العلم الإسرائيلي. ولم يكن ثمة أي منع لمرور سفينة تقصد إسرائيل وترفع علماً أجنبياً. إن موانئ إسرائيل المهمة (حتى اليوم) هي حيفا وأسدود، اللذان تمر عبرهما التجارة البحرية مع أوروبا وأميركا. أمّا ميناء إيلات فيشكل منفذاً إلى آسيا. لكن الجمهور والحكومة في إسرائيل اعتبرا إغلاق المضائق إضراراً جسيماً بإسرائيل (إبادة، محرقة)، ونسي معظمهم (أو شاؤوا أن ينسوا) أن المضائق كانت حتى حرب سيناء 1956 مغلقة في وجه السفن التي ترفع العلم الإسرائيلي - ولم يتكلم أحد على محرقة ثانية.
- في هذه الحكاية تختفي الحقيقة عميقاً في الصفحة 307. إذ بحسب وزارة الخارجية الأميركية، فإن آخر مرة اجتازت فيها سفينة ترفع علماً إسرائيلياً المضائق كانت قبل عامين ونصف عام من الأزمة. حرية ملاحه؟ حصار بحري؟ محرقة؟ إبادة؟ كان الجمهور الإسرائيلي بعيداً عن التدقيق في ذلك، فهو غدا مستعداً لحرب على جميع الجبهات.
- إن القراءة في كتاب سيغف تثير أفكاراً كئيبة بشأن مدى إدراك صانعي القرار في إسرائيل في تلك الفترة. فالكتاب، في المقام الأول، ينقل بصورة حادة أن صانعي القرار في إسرائيل - من المراتب الأدنى في الجيش والحكومة وصولاً إلى من كان يقف على رأس الهرم - كانوا جميعاً، ومن دون استثناء، لا يدركون أنذاك (كما هو حال كثيرين اليوم أيضاً، للأسف) أن عبد الناصر والملك حسين والرئيس السوري نور الدين الأتاسي، لم يكونوا يريدون إبادة إسرائيل. كان أصل الصراع دائماً، ويظل اليوم أيضاً، يتمثل في الفلسطينيين - الذين هم سكان البلد الأصليين

الذين طُردوا وسُلبت بيوتهم وأراضيهم سنة 1948. كانوا جذر الصراع والأعمال العدائية والعنف في جميع حروب إسرائيل – والوضع اليوم لا يختلف.

في بحثهم عن حلول، عرض الجميع مقترحات مختلفة، على ألا يتم الاعتراف بالشعب الفلسطيني. وهكذا طرح رجال الموساد فكرة فحواها أن تعرض إسرائيل على مصر مئات الملايين من الدولارات في مقابل الهدوء (ص 204). وعرض إشكول إمكان موافقة حزب البعث في سورية على التقارب مع إسرائيل على أساس أيديولوجي، "ذلك بأنه هو أيضاً، كما حال حزب مباي، يؤمن بالاشتراكية" (ص 193). وقائد المنطقة الشمالية، دافيد إلعيزر، رأى في الفلسطينيين مقاتلين في خدمة الأيديولوجيا السورية (ص 222). واقترح يغال ألون إقامة دولة محمية درزية في الجنوب السوري؛ "إنها ستكون بمثابة دولة عازلة بين سورية والأردن وإسرائيل، كما كتب ألون (...) إن حلفاً دفاعياً متبادلاً بين الدولة الدرزية ودولة إسرائيل سيضمن سيطرة إسرائيل الدائمة على الجولان" (ص 474). كما أن النقاشات مع الملك [حسين] في بريطانيا، قبل الحرب وبعدها، تعكس على امتدادها عدم إدراك القيادة الإسرائيلية ما هو مصدر الصراع. "إذا اتضح أن لا إمكان لمنحهم حكماً ذاتياً، وكان عليّ أن أختار بين أن ينضموا، باستثناء القدس، إلى الأردن، أو أن يتحولوا إلى مواطنين في دولة إسرائيل، فإنني لكنت أفضل أن ينضموا إلى الأردن" (دايان، ص 527 – 528). وكان الأمر تحت سلطة الملك لا يتعلق باحتلال.

لقد تداولوا حقاً هنا وهناك بشأن الفلسطينيين، لكن أساساً فيما يتعلق بـ "المسألة الديموغرافية" التي راج أمرها مع احتلال الضفة الغربية. وهكذا يتحدث الكتاب عن مقترحات لنقل آلاف الفلسطينيين من قطاع غزة، أو من الضفة الغربية مقابل كل أصناف الحلول الهديانة – مقترحات أعترف بأنه كان من الصعب قراءتها، فكأنها لم تكن تتعلق ببشر. ■

(\*) مترجم عن العبرية من موقع "هغدا هسموليت":

<http://www.hagada.org.il/hagada/html/modules.php?name=News&file=print&sid=4617>

وقد صدر الكتاب عن منشورات كيتز، سنة 2005.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: [majallat@palestine-studies.org](mailto:majallat@palestine-studies.org)  
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:  
[http://www.palestine-studies.org/ar\\_index.aspx](http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx)